الفصل الاول

الثورة الفرنسية ١٧٨٩

تعد الثورة الفرنسية حدثا مهما في تاريخ فرنسا واوروبا والعالم اجمع لانها كانت نقطة تحول اساسية في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة انذاك ، وكان هدف الثورة الفرنسية هو ازالة مخلفات الاقطاع والمتمثلة بطبقة النبلاء ورجال الدين والطغيان الملكي الذي كان يحكم وفق نظرية الحق الالهي ،لذلك لم تكن الثورة الفرنسية حدثا مفاجئا بل كانت نموا تدريجيا لعوامل متعددة سبقت قيام الثورة الفرنسية ، فقد كانت الحكومة المركزية في فوضى عارمة ناهيك عن الاسراف الكبير في البلاط والحاشية ، كما كانت فرنسا مفككة الى مقاطعات صغيرة فضلا عن التفكك الاجتماعي الذي ساد فرنسا ، أذ كان هنالك اختلاف في المكاييل والمقاييس والاوزان كما ان لويس الرابع عشر قد زج فرنسا بحروب عديدة وجاء من بعده لويس الخامس عشر والذي لم يحرك ساكنا ، وهبت العاصفة وانفجر البركان في زمن لويس السادس عشر على شكل احداث كبيرة القت بظلالها على عموم فرنسا .

اما مجلس الطبقات الذي يعد الجهة التشريعية انذاك فلم يكن له دور كبير منذ تأسيسه في بداية القرن الرابع عشر ولم يعقد اي اجتماع منذ عام ١٦١٤، ولفهم احداث الثورة الفرنسية وما جرى فيها من تطورات ولمعرفة مسارها الطويل لابد من معرفة الاسباب المباشرة وغير المباشرة التي كانت وراء تلك الاحداث والتي اوجدتها الثورة.

الاسباب المباشرة:

هنالك اسباب وعوامل مباشرة اشعلت فتيل الثورة وشملت جميع الجوانب منها :

اولا / العامل السياسي :

كان نظام الحكم السائد في فرنسا في عهد لويس الرابع عشر الحكم الملكي المطلق اى الحكم وفق نظرية الحق الالهي، اي ان الملك يستمد سلطته من الله سبحانه وتعالى ولا يحق لاحد ان يراقبه او يحاسبه، بل على الجميع طاعته، وقد

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

استمر هذا حتى في عهد لويس السادس عشر ، فكانت صلاحيات الملك غير محددة ولم تكن هنالك سلطة برلمانية تحد من سلطة الملك سوى محكمة باريس او برلمان باريس والذي كانت مهمته تسجيل القوانين التي يصدرها الملك لويس السادس عشر ضد معترضيه حتى وصل به الحال بخوض حروب لا فائدة منها سوى اشباع رغبته، اما رجال البلاط فكانت رواتبهم عالية ولم يكن لديهم عمل يؤدوه سوى الحفلات التي كانت تقام في صالونات باريس ومعهم بقية الطبقات الاخرى، وكانت فرنسا مقسمة الى مقاطعات تحت سيطرة موظف يدعى (وكيل الملك) وله صلاحيات واسعة فيما يخص جمع الضرائب وغيرها.

اما القضاء فقد كان بعيدا عن العدالة لان منصب القاضي كان يباع ويشترى ووراثيا ولا يعتمد على الكفاءة والمقدرة، و ان لويس السادس عشر كان ذو شخصية ضعيفة وقع تحت سيطرة زوجته (ماري انطوانيت) ابنة امبراطورة النمسا (ماريا تريزا) اذ كانت تتدخل في الشؤون السياسية وفي تعيين وعزل الوزراء وتوجيه سياسة البلاد وشؤونه فضلا عن اسرافها المالي الكبير في شراء القصور في الوقت الذي كان يعاني الشعب الفرنسي من المجاعة ، ذلك العمل اثار السخط الكبير لدى الشعب الفرنسي من جهة وكرههم الكبير لها لانها نمساوية الاصل، وكان لديهم اعتقاد ويقين ان النمسا قد خلفت كوارث عسكرية في فرنسا ابان القرن الثامن عشر .

ثانيا : العامل الاجتماعي

وهو نظام الطبقات الذي قسم المجتمع الفرنسي الى ثلاث طبقات ، وهي طبقة الاشراف والنبلاء وطبقة رجال الدين (الاكليروس) والطبقة العامة وهذا النظام كان موروثا من العصور الوسطى والذي جعل الفرنسيين في درجات تختلف وتتباين في الحقوق والواجبات وهي :

أ- طبقة النبلاء والاشراف

كانت تسمى بالطبقة الارستقراطية أذ انهم حرموا من السلطة بعد قيام النظام الملكي لكنهم لم يحرموا من الامتيازات التي ورثوها عن اسلافهم في العصور الوسطى، وكانوا يستأثرون بالمناصب العليا في الحكومة ومعفوون من الضرائب وعددهم قبل قيام الثورة الفرنسية حوالي (٤٠٠) الف شخص بما فيهم النساء والاطفال وكانت اغلب الوظائف في الجيش والكنيسة والبرلمان والوظائف في

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

المراكز العليا من نصيب تلك الطبقة ، اذ كانت دائما وبأستمرار تقف حجر عثرة امام مشاريع وخطط الدولة الضرائبية لوجود ضرائب عديدة منها : ضريبة الرأس وضريبة الملح وضريبة المشروبات .

اما حقوق وامتيازات طبقة النبلاء فهي :

١- على الفلاح استخدام معصرة وطاحونة ومخزن النبيل مقابل اجور يعدها النبيل.

٢- يحق للنبيل الصيد في الاراضي الزراعية التابعة للفلاحين حتى وان ادى ذلك الى اتلاف المحصول .

٣- القيام باعمال السخرة من قبل الفلاحين تجاه النبيل.

٤- تميز النبلاء باسماء خاصة تعرف بأسماء اسرهم.

لم يكن كل النبلاء يملكون اراضي زراعية ، بل كان بعضهم لايمتلك ارضا و يعيشون على الهبات والارزاق التي يصدرها الملك ، لذلك اصبحت طبقة النبلاء مفككة بعضها ثري والبعض الاخر فقير مماحدى بهؤلاء اي الطبقة الفقيرة من النبلاء بالاقتراب من البرجوازية والانضمام اليهم فيما بعد الثورة.

ب- رجال الدين (الاكليروس)

يشكلون طبقة متميزة لها نفوذ قوي يستند الى امتيازات تقليدية موروثة من العصور الوسطى من جهة ولامتلاكهم لثروة مادية كبيرة من جهة اخرى ، اذ كان رجال الدين لايدفعون الضرائب عن اراضي الكنسية ، و ان الكنيسة تمتلك اراضي واسة بلغت حوالي خمس اراضي فرنسا ناهيك عن الهدايا والتبرعات التي يقومون بتقديمها الى الملك بين الحين والاخر ، وكان يعمل في تلك الارض الوف الفلاحين ، فضلا عن ذلك كانوا يفرضون الضرائب والرسوم على الشعب الفرنسي مثل رسوم الزكاة والزواج وضريبة العشر والتي بلغت في اواخر القرن الثامن عشر حوالي (٢٠٠) مليون فرنك فرنسي من الذهب ، كما كان لرجال الدين امتيازات سياسية وقضائية لاسيما كبار رجال الدين الذين يعيشون حياة ترف واسراف مما افقدهم مكانتهم وسمعتهم بين الناس ، كان ذلك عاملا مهما في

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

جعل صغار رجال الدين يقفون مع الثورة لانهم لم يحصلوا على امتيازات مثل ورؤسائهم، اذ كانوا يقومون بأعمال دينية صغيرة مقابل اجر زهيد.

ج- الطبقة العامة

تضم تلك الطبقة الفلاحين وعامة الناس من سكان المدن أذ تحملت اعباء كثيرة منها دفع الضرائب والخدمة في الجيش في اثناء الحرب وخدمة الكنسية والعمل في مزارع النبلاء ، اذ كان عددهم قبل الثورة الفرنسية حوالي (٢٥) مليون شخص ، اى انهم يقومون بواجبات كثيرة ومحرومون من ابسط الحقوق ، ولم يكن القانون الفرنسي أنذاك يعترف لهم بحقهم في الحريات العامة وحق المساواة مع النبلاء ورجال الدين (الاكليروس) امام القانون ولايحق لهم المشاركة في الحياة السياسية اوحقهم في اختيار النظام السياسي والاقتصادي الذي يتلائم مع غاياتهم ومصالحهم .

وقد افرزت تلك الطبقة فئة قليلة من ابنائها كان لهم دور كبير في الاقتصاد والتعليم عرفت بأسم (البرجوازية)، وأن ظهورتلك الطبقة يعود الى العصور الوسطى أذ بدأ بعض الاقنان يتحرر من نفوذ النبلاء والاقطاع ويمتلك اراضي ويمارس التجارة والصناعة، وظهر بين ابنائهم مثقفون ومتعلمون في شتى العلوم، فكان لهم دور كبير في قيادة عامة الناس ضد الحكم المطلق، ولابد لنا هنا ان نشير ان العمال والفلاحين قد قاموا بأنتفاضات قبل الثورة الفرنسية وذلك خلال الاعوام (١٧٣٧،١٧٧٦،١٧٨٥، ١٧٨٨)والتي سميت بمشكلة الخبز طالبوا فيها بتحسين اوضاعهم الاجتماعية .

ثالثا: العامل الاقتصادي

يعد العامل الاقتصادي من العوامل الرئيسة المباشرة في تأجيج الثورة الفرنسية وذلك بسبب العجز الكبير الذي اصاب الخزينة الفرنسية نتيجة السياسات الخاطئة لملوك فرنسا منهم لويس الرابع عشر الذي اقحم فرنسا بحروب عديدة ومن جاء من بعده قد اتخذ السياسة والنهج ذاته ،كما قامت فرنسا بالوقوف الى جانب حروب الاستقلال الاميركية بالضد من بريطانيا ، وكانت مصدر تمويل لهم وفي الحقيقة أن الاقتصاد الفرنسي كان جيدا ، ولكن عدم الموازنة بين المصروفات والمدخولات ادى الى اصابة فرنسا بالعجز المالي ، فضلا عن مصاريف البلاط والفئات العديدة الغنية التي تم اعفائها من الضرائب .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

لقد اجريت احصائية عام ١٧٨٨ في فرنسا فكانت المصروفات (٦٢٩) مليون فرنك والواردات بلغت (٥٠٣) مليون فرنك ليصبح العجز (١٢٦) مليون فرنك ، وقد توزعت المصروفات كما يلي :

٢% على التعليم والصحة والخدمات العامة والخدمات الاجتماعية

٦% على قصر الملك وعلى القصور الاخرى وهي قصور (باليه غويال، فرساي، البحيرة الزرقاء)

٢٦% مصروفات الجيش واغلبها لضباط الجيش وبلغت (٤٦) مليون فرنك

٢٣% والنبلاء ورجال الدين والاشراف

١٢% لحكام المقاطعات من خارج باريس

٤% للشرطة

٨% لاتعرف

حاول لويس السادس عشر اصلاح وضع الخزينة ، فقام بتعين خبراء ماليين لمعالجة الازمة المالية التي حلت بالبلاد وهم :

أ- تريكو (١٧٢٧-١٧٨١)

تم تعيينه كمراقب عام للمالية مدة عشرين شهرا ، كان راغبا في ادخال الامانة والكفاءة الى دوائر الحكومة ، وعازما للحد من سلطة الكنيسة وعمل على ايجاد نظام عادل للضرائب وعلى امكانية توفير حرية التجارة داخل وخارج حدود فرنسا .

تلك المقترحات أزعجت الطبقات العليا في البلاد فوقفت بالضد منه مجموعة من الافراد من ذوي الطبقات العليا تساعدهم زوجة لويس السادس عشر (ماريا انطوانيت) وكان من نتيجة ذالك اعفاء تريكو من منصبه وتعيين نيكر بدلا عنه.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ب- نيكر

كان نيكر شخصية محبوبة في عموم فرنسا، له باع طويل في الشؤون المالية والادارية لكنه لم يكن سياسيا، اقترح على ضرورة انشاء مجالس محلية تحل محل مندوبي الملك، الا انه اصطدم بمعارضة كبيرة من قبل البلاط الملكي فعزل من منصبه، وفي عهده خسرت فرنسا كل مستعمراتها في اميركا والهند من خلال حربها مع بريطانيا وفي عهده تم دفع نفقات حرب الاستقلال الاميركية.

ج- كولون

تولى كولون وزارة المالية عام ١٧٨٣كان محبوبا من قبل البلاط ، واكد ان اصلاح الوضع المالي لايتم الا من خلال فرض الضرائب على طبقتي الاشراف ورجال الدين لسد العجز الحاصل في الميزانية العامة ، كما اصر على وجوب فرض الضريبة على الارض وليس على الفرد حتى نتمكن من الغاء التمييز بين الطبقات في عملية فرض الضرائب ، كما دعا الى رفع الحواجز الكمركية الداخلية بين الولايات وان لاتفرض الضرائب الاعلى البضائع الواردة من خارج فرنسا ، كما اوصى بتخفيف ضريبة الراس وضريبة الملح ، وفي عام ١٧٨٧ دعا كولون مجلس الاعيان الذي يضم الاشراف ورجال الدين وعرض عليهم برنامجه الاصلاحي ، لكن كل ماجاء به كولون لم يجد له اذنا صاغية فأزدادت الاوضاع سوءا في فرنسا وعمت الاضطرابات فيها فكانت سببا مباشرا في اندلاع الثورة الفرنسية.

رابعا : العامل الفكري

كانت فرنسا تمثل المكانة الاولى في عالم الفكر، أذ ظهرت طائفة كبيرة من المفكرين والكتاب دعوا الى هدم النظام القديم لعدم تحقيق المساواة في العديد من الجوانب، فألى جانب المفكرين الفرنسيين مونتيسكيو وفولتير وروسو ظهر مفكرون اوروبيون ايدوا ماجاء به المفكرون الفرنسيون، ومن هؤلاء المفكرون الاوروبيون هيوم وبرتون ولوك من انكلتر و **كانت وشبجلر وغوتة** من المانيا، ففي الجانب السياسي دعوا المفكرون الفرنسيون الى الغاء الامتيازات والحكم المطلق كما دعوالى ضمان الاخاء الانساني وضمان الحريات الفردية، وطالبو بالرجوع الى الحقوق الطبيعية للامة ليقوم عليها نظام حكم في البلاد.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

سمات العامل الفكري:

١-عبأ المفكرون الفرنسيون الشعب في الثورة

٢- اتسم بالاكراه والنقد اللاذاع والساخر

٣- على الرغم من وجود مفكرون في اوروبا في الوقت نفسه ظهر مفكرون فرنسيون كانوا اكثر ثورية

٤- كانت الثورة الفرنسية انسانية عالمية لاسيما عندما دعا مونتيسكيو الى اعداد الدساتير والقوانين التي تؤكد على الانسان وابداعه.

ومن ابرز المكرين الذين كان لهم دور كبير في قيام الثورة الفرنسية :

أ- مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥)

يرجع اصله الى طبقة النبلاء واهتم منذ بداية حياته العملية بتأليف الكتب وفي موضوعات شتى ومن كتبه (روح القوانين)، اذ قام بتحليل دقيق لانظمة الحكم و تناول الظروف التي نشرها في الكتاب، اعجب بالنظام البريطاني اذ عده ارقى الانظمة لانه يدعوا الى فصل السلطات الثلاث (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) بعضها عن البعض الاخر، لكي يضمن تحقيق العدالة والحرية المدنية والسياسية، واكد في رأيه أنه يجب على السلطات ان تؤدي خدمة افضل للمجتمع، وان تحدد وتوضح واجبات كل سلطة، درس مونتسكيو ظاهرة المسؤولية وانتقد اسراف القوانين والتي كثيرا ما تضر بالافراد تلك الاراء اثرت برجالات الثورة الفرنسية ، كما تأثر بأراء واضعودستور الولايات المتحدة الاميركية، كما اعتمد اعضاء الجمعية التأسيسية في فرنسا بأراءه عندما وضعوا الدستور الفرنسي، لاسيما فيما يتعلق بفصل السلطات وقد بقي تاثير مونتسكيو حتى قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة ، لذلك كان مونسكيو من دعاة الثورة الفكرية ومن ضمن افكاره الدعوة في القضاء على العهد القديم.

ب- فولتير(١٦٩٤-١٧٦٨)

كان فولتير من اسرة برجوازية ومختصا بفن النقد، وكان ناقدا واديبا ومن اشهر الكتب التي انتقدها (روح القوانين) لمونتسكيو، اذ كان نقده حول عدم وجود

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

حدود فاصلة بين مفهوم الملكية ومفهوم الاستبداد عند مونتسكيو ، وعرض انتقاداته تلك في كتابه (اراء الجمهورية) وهو من حاملي لواء الادب الفرنسي واعجب بالنظام البريطاني بعد زيارته لانكلترا بين عامي(١٧٢٧-١٧٢٩) وكان اعجابه واضحا خلال تمتع الشعب بحرية وحيوية وثقافة ، كما اطلع على كتب بعض المؤلفين الانكليز مثل (بيكون ، شكسبير ، لوك) وقد اوضح ارائه للمواطنين من خلال كتابه المشهور (رسائل عن الانكليز) ، وقد بين فيه معالم المجتمع السعيد الذي فكر به ليستطيع به ان يقوي وينشر ما يريد حيث لاعقاب ولا تعذيب ولاسجن بدون محاكمة ، كما هاجم الكنيسة ودعاها الى عدم التدخل في السياسة ، وانتقدها لانصرافها عن المسائل الروحية وتعسفها لرعاياها بالطاعة العمياء ، وهاجم التعصب الديني بوصفه نوع من انواع الاظطهاد والذي حل بالبروتستانت في فرنسا ، كان فولتير يطالب باصلاح القانون في فرنسا وتطبيقه بطريقة عادلة.

ج- جان جاك روسو(١٧١٢-١٧٧٨)

من اشهر كتاب عصره له كتاب هو(العقد الاجتماعي) الذي تم طبعه عام (١٧٦٢) كان يرى فيه ان الانسان ولد حرا ولكن الاغلال قيدته في كل مكان، ويقول ان العلاج الصحيح لامراض المجتمع الانساني بسيط للغاية يتمثل في استخدام الوسائل الصحيحة للتعامل مع الانسان واطلاق طاقاته وحريته، واضاف، ان الدولة الصالحة هي التي تتعهد بحمايته، وان الدولة الصالحة لاتقوم على اساس من القوة والطمع وانما تقوم على الارادة الخيرة عند جميع افرادها، ويؤكد ان الدولة مدينة بوجودها الى الشعب الذي من حقه دائما ان يعدل او يلغي اشكالها واطلق على كتابه (انجيل الثورة) أذ تبنى افكاره تلك رجال الثورة الفرنسية واصبحت احد اهدافهم .

ويقوم كتابه العقد الاجتماعي على اسس عدة منها:

١- ان الحكومة ما هي الا عقد اجتماعي مع الشعب يتنازل فيه الشعب عن بعض حقوقهم .

٢- اذا اخلت الدولة بهذا الاتفاق او الشرط فمن حق الافراد الخروج عليها وحتى القيام بالثورة

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

٣- اكد على الحرية وبتخليص الانسان من اغلاله.

د- الطبيعيين (الفيزوقراطيين)

وهم الذين تأثروابكبيرهم (ادم سمث) لاسيما كتابه (ثروة الامم) وهو صاحب نظرية **(دع الامور تجري وشانها)** وصاحب نظرية اقتصاد السوق العرض والطلب، اى ان الدولة لاتتدخل في منع الصناعة والتجارة وترك الفعاليات الاقتصادية، وكانوا ممثلوا تلك الجماعة هو**(ميرابوا، كويزناي)** ومن ارائهم هي :

١- اطلاق الحريات العامة في التجارة وأنشاء نظام عام للتعليم

٢- جميع الضرائب يجب ان تلغى وتركز في ضريبة واحدة

هـ - الانسكلوبيديين

ظهرت الانسكلوبيدية الفرنسية بين الاعوام (١٧٥٩-١٧٧٢) وقام بنشر وكتابة مادتها العلمية كل من **(ديدرو)** ١٧١٣- ١٧٨٤ و**(المبيرت)** (١٧١٧-١٧٨٣) ملخص ماجاء فيها يخص المعرفة الانسانية ، لذلك لم يقبلها رجال الدين بل قابلوها بالرفض وتقدموا بشكوى ضدها في البرلمان بحجة تهديدها للدين، لكن تلك المحاولات لم تنجح، وقد اطلق على تلك الموسوعة بأسم دائرة المعارف، فقد ساهمت الدائرة في ايصال المعلومات الى كافة الناس من خلالها نقدها للنظام.

العوامل غير المباشرة

العامل الاقتصادي

وهي عملية جمع الضرائب من الفرنسيين وعدم المساواة في فرضها على الطبقات العامة وطريقة تحصيلها ، فكانت طبقة النبلاء ورجال الدين معفية من الضرائب ومن تلك الضرائب :

ا- ضريبة الملح لان الحكومة الفرنسية كانت تحتكر انتاج الملح وتقوم بفرض كميات كبيرة من الملح على طبقات دون الطبقات الاخرى.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ب- ضريبة الراس

وهي تفرض على الشباب في فرنسا من سن ١٨ عام بعد التعميد ، وقد فرضت منذ حروب لويس الرابع عشر حتى الغتها الثورة الفرنسية

ج- ضريبة الدخل

كانت تفرض على جميع الفرنسيين، لم تسلك الحكومة الفرنسية سلوكا عادلافي فرضها واستيفاءها، وهناك انتقاد لعملية جمع الضرائب في فرنسا في عهد لويس الخامس عشر لما قام به الجباة بأنشاء شركة لجمع الضرائب فكان لها نفوذ في طريقة الاستيفاء واستمر الحال حتى قيام الثورة الفرنسية.

الاسباب المباشرة وغير المباشرة لقيام الثورة الفرنسية:

١- توقف الاصلاح واستبداد الملك في السلطة

٢- فقدان التوازن الاجتماعي بين طبقات الشعب بسيادة الاشراف على الفلاحين

٣- طول مدة حكم لويس الرابع عشر والخامس عشر وعدم قيامهم بالاصلاح

٤- انتشار افكار الفلاسفة الذين ايقضوا الحياة الفكرية من سباتها، امثال مونتسكيو وفولتير وجان جاك روسو

٥-عودة الجنود الفرنسيين من اميركا مشبعين بروح الثورة

٦- ضعف الملك لويس السادس عشر

٧- خلو خزانة الحكومة من المال وحاجتها الى رجال قادرين على الاصلاح

٨- الدستور البريطاني الذي اعجب به محبوا الاصلاح في فرنسا

تم المسح الضوئي بـ CamScanner